الخنساء

اسمها تماضر بنت عمرو

قدمت الى الرسول صلى الله عليه وسلم مع قومها فاسلمت فاسلم قومها معها. وذكر ان الرسول (ص) استنشدها واعجبه شعرها فكان يطلبها قائلا "هيه ياخناس". وكانت تقول الشعر بيتا او بيتين الى ان قتل شقيقها معاوية ، ثم اصيبت مرة اخرى بمقتل اخوها لابيها صخر احب اخوتها لها لما عرف عنه من صفات الجود والشجاعة والمروءة ، فانطلقت تنظم الشعر في رثاء صخر قصائد حفظها الرواة وتناقلوها لما تفيض به من صدق العاطفة والشعور.

استشهد اولادها الاربعة في معركة القادسية بعد ان حرضتهم علي القتال فيها ، فلما وصلها خبر استشهادهم حمدت الله ودعته ان يجمعها بهم في جنته. ولذا كان عمر رضي الله عنه يصرف لها ارزاق اولادها الاربعة حتى قضي رضي الله عنهم اجمعين.

كان صخر سندها وعضدها الى ان مات. فقد كان زوجها متلفا لماله ، فكانت تذهب لاخيها صخر الذي يعطيها نصف ماله كلما اتته مترفدة. في هذه القصائد ترثي الخنساء اخيها صخر ببكائيات تحرق القلب على فقيدها. اعتقد ان ما نظمته الخنساء في الرثاء من اقوى وافضل القصائد والابيات في هذا النوع. فلقد مات صخر وماتت الخنساء بعده ولكن كرم وجود صخر وشعر ورثاء الخنساء له ابقاهما احياء في تاريخ وثقافة العرب.

كان المجتمع العربي قبل الإسلام مجتمعاً جاهلياً بكل المعاني. كانت تسوده العصبية القبلية والعائلية. وكان يسوده الظلم والتمييز والاضطهاد بسبب العرق أو اللون أو الجنس. كما كان الفساد الخلقي والتفاوت الاقتصادي سائدين. وكان الرق جزءاً من ثقافة ومعاملات هذا المجتمع. ولم يحل دون كل هذه المفاسد وجود قيم إنسانية عالية مثل الشهامة والفروسية والكرم.
وكان من أبشع المفاسد قتل الأبناء ووأد البنات. وكان قتل الأبناء يتم من الفقر أو من خشية الفقر. وكان وأد البنات يتم بسبب الفقر وبسبب العار الذي يخشى الآباء أن تلحقه بهم البنات بسبب كونهن إناثاً وبسبب ما قد يتعرضن له من عدوان أو فساد. وقد سجل القرآن الكريم هذه المفاسد منددا بها ناهياً عنها نهياً قاطعاً. قال الله تعالى في شأن قتل الأولاد مطلقاً "قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم"، وقال عز وجل: "ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خِطأً كبيرا".
وفي التنديد بوأد البنات والإساءة لهن والنهي عن ذلك قال الله عز وجل في كتابه الكريم: "وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم. يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون" وقال سبحانه "وإذا بشر أحدهم بما ضرب

للـرحمن مثلاً ظل وجهه مسـوداً وهو كظيم" وقـال عز من قائـل: "وإذا الموءودة سئلت. بأي ذنب قتلت".

***

نماذج باهرة

في هذه البيئة المنكرة لحقوق المرأة والمهدرة لكرامتها الإنسانية ظهـرت نماذج نسائية باهرة تحدت هذه الجهالة والجاهليـة، وفرضت نفسـها بما لها من ملكات فطرية وشخصيات قوية وعقول مفكرة وسـجايا حميـدة. وربما ساعد على ذلك انتماء هذه النماذج لأسر عريقة ذات شأن. ومن هؤلاء من عشن في الجاهليــة. ومنهن من امتد بهن العمر حــتى شــهدن انبلاج فجر الإسلام وشـروق شمسه فكـانت منهن الأديبـات والشـاعرات والمقـاتلات. وكانت منهن أمهات المؤمنين زوجات النـبي صـلى الله عليه وسـلم اللاتي كانت درة التاج فيهن أم المؤمـنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها الـتي كانت نموذجاً فريداً للمرأة العربية سيدة الأعمـال قوية الشخصـية واسـعة الإدراك ثاقبة الفكر متحررة الإرادة وغيرها من أمهات المؤمنين.
ومن النماذج الـتي سـجلت اسـمها بـأحرف من الـذهب في سـجل المـرأة العربية الشاعرة الخنساء التي ملأت الدنيا عويلاً وطبق الآفاق شـعرها في رثاء أخويها معاوية وصخر في الجاهلية. ولكنها احتسبت أبناءها الأربعة عند الله في الإسلام عنـدما استشـهدوا واحـداً إثر واحد في معركة واحـدة في سـبيل اللــه. و"من أراد أن يعـرف كيف يقلب الله القلـوب من حـال إلى حال، وكيف يصنع في النفوس الأبية صنعاً يثـير الإعجـاب وكيف يـنزع منها العبث والهزل والقنوط، ويبعث فيها الرجاء والأمل والرضا بالقضاء والقـدر فلينظر إلى الخنســاء بنت عمــرو بن الشــريد الأســلمية. كيف كــانت في الجاهلية ثم كيف صـاغها الإسـلام صـياغة جديـدة تحـولت معها إلى امـرأة صـبور تحـرض أولادها على الجهـاد في سـبيل اللـه. وتـدفعهم إلى ميـادين القتال لكي يسـطروا في البطولة والتضـحية أنصع الصـفحات. ولكي تنـال باستشهادهم عز الدارين".

***

دموع على الأخوين

الخنساء هي تماضر بنت عمرو بن الحـارث بن الشـريد الرياحية السـلمية. من بني سـليم من قيس عيلان من مضر من أهل نجد في وسط الجزيـرة العربيــة. أشــهر شــواعر العــرب وأشــعرهن على الإطلاق. عاشت أغلب عمرها في الجاهلية وشــهدت الوقــائع. وكــانت منذ نعومة أظفارها ذات موهبة شعرية عالية وذات رأي مسـتقل. ويـروى أن الشـاعر الشـهير دريد بن الصــمة مر بها في طريقه وهي تطلي بنفســها بعــيراً لها فأعجبتــه، فخطبها من أبيها فقال له أبوها: مرحباً بك يا أبا قـرة. إنك لكـريم لا يطعن في حسبه. والسيد لا يرد عن حاجته. والفحل لا يقرع في أنفه. ولكن لهذه المـرأة في نفسـها ما ليس لغيرهـا. وأنا ذاكـرك لها وهي فاعلـة. ثم دخل إليها وقال: يا خنساء. أتاك فارس هوازن وسيد بـني جشم دريد بن الصـمة يخطبك وهو من تعلمين. فقــالت: يا أبت. أتــراني تاركة بــني عمي مثل عــوالي الرمــاح وناكحة من جشم هامة اليــوم أو غد وكــان دريد يســمع

قولهما فخــرج إليه أبوها فقــال: يا أبا قــرة. قد امتنعت. ولعلها أن تجيب فيما بعد. فقال دريد: قد سـمعت قولكمـا. وانصـرف. وعـاود دريد الخطبة فعاود الأب عرض الأمر على ابنته التي عاودت الرفض.

***

وقد بدأت تقرض الشعر في طفولتها. وانتقلت من طور إلى طـور. انتقلت أول الأمر من اللهو بالشــعر تقــول البيــتين أو الثلاثة يــترنم بها اللســان. وكانت آنذاك صبية لم تبلغ مبلغ النساء. وظلت كذلك حتى اكتملت أنوثتهـا. وأصيبت في الوقت نفسه بكارثة أخيها معاوية. فأطالت في شـعرها تـرثي هذا الشقيق الذي كـان بطلاً من أبطـال قبيلتها بـني سـليم. وبهـذا الصـنيع انتقلت إلى الطور الثاني وهو دور قصائد الشعر. يقول ابن حجر في كتـاب الإصابة ج 8 ص 66: كانت الخنساء تقـول في أول أمرها البيـتين أو الثلاثة حتى قتل شقيقها معاوية بن عمـرو وقتل أخوها لأبيها صـخر. وكـان أحبهما إليها لأنه كان حليماً جواداً محبوباً من العشـيرة. "وهكـذا كـان مقتل أخيها معاوية نقطة التحـول في حياتها الشـعرية. كـذلك كـان مقتل صـخر أخيها المحرك الدافع على قول الشعر. فأخـذت تقـرض الشـعر وتكـثر في رثـاء صخر حتى أصبح رثاؤها له منفذاً تلجأ إليه من همومها وحزنها".

ومن شعرها المعبر عن هذا المعنى قولها:

فقد أصبحت بعد فتى سليم
أفرج هم صدري بالقريض
أسائل كل والهة هبول
براها الدهر كالعظم المهيض

وفي مستهل قصيدة ترثي فيها أخاها صخرا تقول:

أعيني جودا ولا تجمدا
ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجريء الجميل
ألا تبكيان الفتى السيدا

نقطة تحول

وهكـذا مضت تنـدب أخويها وتبكيهما وكأنها أخـذت على نفسـها عهـداً بـألا تكف عن البكاء والنحيب، لكن نور الإسلام دخل قلبها. ووفـدت على النـبي صلى الله عليه وسلم مع وفد من قومها بني سليم فأعلنت إســلامها. وفي ذلك إشارة إلى أن المرأة حتى في المجتمع الجاهلي بكل ما فيه من ظلم وقهر للمــرأة كــان لها دور. وكــان رســول الله صــلى الله عليه وســلم يستنشدها ويعجبه شعرها. فكانت تنشد وهو صلى الله عليه وسـلم يقـول: "هيه يا خنساء". وكـان إسـلامها نقطة تحـول في حياتهـا. فقد قلت عنايتها بنظم الشـعر واشـتغلت بحفظ وقـراءة القـرآن الكـريم. وما عـادت تنشد الشعر إلا في مناسبات خاصة.

وحضــرت الخنســاء موقعة القادســية بين المســلمين والفــرس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعها أبناؤها الأربعة. وحين نـادى سعد بن أبي وقاص قائد جند المسلمين بالجهاد قـالت لأبنائها وهي تسـتعد وتعدهم للمعركة: يا بني. لقد أسلمتم طـائعين. وهـاجرتم مختـارين. ووالله

الذي لا إله إلا هو إنكم بنو رجل واحد. ما خنت أباكم. ولا فضحت خالكم. ولا هجنت حسبكم. ولا غيرت نسبكم. وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب في حرب الكافرين. واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية. يقول الله تعالى "يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون"، فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين. وبالله على أعدائه مستنصرين. فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى على سياقها وحلت ناراً على أوراقها. فتيمموا وطيسها. وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها. تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة.

***

استشهاد الأبناء

بهذه الدفعة المعنوية والتغذية الروحية وبث روح الفداء ذهب الأبناء الأربعة ليشاركوا في القتال. وزادهم حماساً قائدهم سعد بن أبي وقاص الذي قاد المعركة بحنكة واقتدار وإيمان بالله وثقة في نصره وتوكل عليه، ولذلك فعلى الرغم من أن موازين القوة المادية كانت في صف الفرس دان النصر للمسلمين. وفر الفرس هاربين لا يلوون على شيء. وقتل قائدهم رستم الذي كان من أبرز القادة وأشجع الفرسان. وكانت معركة القادسية معركة فاصلة وفتحاً مبيناً للإسلام وفاتحة خير على المسلمين.
فلما انجلى غبار المعركة سألت الخنساء عن أبنائها الأربعة فأخبروها أنهم قد استشهدوا جميعاً فلم تلطم خديها ولم تشق صدرها ولم تدع بدعاء الجاهلية. بل تلقت هذا الخبر الصدمة بالصبر والجلد والرضا بقضاء الله. واحتسبتهم عند الله عز وجل. وكفكفت دمعها وتخففت من حزنها. ولم تقل شيئاً في رثائهم كما فعلت من قبل مع أخويها في الجاهلية وتذكرت قول الله عز وجل: "وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون". فقالت بصبر المؤمنين المحتسبين: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم. وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.
وظلت الخنساء عازفة عن الحياة الدنيا زاهدة في متاعها الفاني مشغولة بذكر الله وتلاوة القرآن حتى لقيت وجه ربها عز وجل صابرة شاكرة. وكانت وفاتها في السنة الرابعة والعشرين للهجرة. رحمها الله.

أوهيت قلبي

تقول نساء: شبت من خير كبرة وأيسر ممـــــا قد لقيت يشيب
أقول أبا حسان: لا العيش طيب وكيف وقد أفردت منـــك يطيب
فتى السن كهل الحلم لا متسرع ولا جـــــامد جعد اليدين جديب
أخو الفضل لا باغ عليه لفضله ولا هو خرق فى الوجوه قطوب
إذا ذكر الناس السماح من امرئ وأكرم أو قال الـــصواب خطيب
ذكرتك فاستعبرت والصدر كاظم على غصة منها الفـــؤاد يذوب
لعمرى لقد أوهيت قلبى عن العزا وطأطأت رأسى والفـــؤاد كئيب
لقد قصمت منى قنـــــــاة طيبة ويقصدم عود النبـــع وهو طيب

فارس الخيل

مابال عينيك منها دمعها ســــرب أراعها حزن أم عـــاما
أم ذكر صخر بعيد النوم هيجهــــا فالدمع منها عليه الدهـــر ي
يا لهف نفسى على صخر إذا ركبت خيل لخيل تنادى ثم تضـــ
قد كان حصنا شديد الركن ممتنعــا ليثا إذا نزل الفتيان أو ركـ
أغر أزهر مثل البدر صـــــــورته صاف عتيق فما فى وجهه
يا فارس الخيل إذ شدت رحائلهــا ومطعم الجوع الهلكى إذا
كم من ضرائك هلاك وأرملـــــة حلوا لديك فزالت عنهم الك
سقيا لقبرك من قبر ولا برحـــت جود الرواعد تسقيه وتحتـــ
ماذا تضمن من جود ومن كرم ومن خلائق ما فيهن مقتض

اعيني جودا ولا تجمدا الا تبكيان لصخر الندى؟

الا تبكيان الجرئ الجميل الا تبكيان الفتى السيدا؟

طويل النجاد رفيع العماد ساد عشيرته امردا

اذا القوم مدوا بأيديهم الى المجد مد اليه يدا

فنال الذي فوق ايديهم من المجد ثم مضى مصعدا

يكلفه قومه ماعالهم وان كان اصغرهم مولدا

ترى المجد يهوي الى بيته يرى افضل الكسب ان يحمدا

وان ذكر المجد الفيته تأزر بالمجد ثم ارتدى

في سير الأسلاف عظة ، وفي مواقفهم خـير وعـبرة ، والخنسـاء رضي الله عنها عرفت بالبكاء والنواح ، وإنشاء المراثي الشـهيرة في أخيها المتوفى إبان جاهليتهـا ، ومـا أن لامس الإيمـان قلبهـا ، وعرفت مقام الأمومـة ودور الأم في التضـحية والجهـاد في إعلاء الـبيت المسـلم ورفعـة مقامـه عنـد اللـه وعظت أبناءهـا الأربعـة عنـدما حضـرت معركـة القادسـية تقـول لهم : " إنكم أسـلمتم طائعين ، وهاجرتم مختـارين ، وإنكم لابن أبٍ واحـد وأمٍ واحـدة ، مـا خبث آبـاؤكم ، ولا فضـحت أخـوالكم ، فلمـا أصـبحوًا باشـروا القتال واحدًا بعد واحد حتى قتلـوا ، ولمـا بلغهـا خـبرهم مـا زادت على أن قالت : الحمد لله الذي شـرفني بقتلهم ، وأرجـو ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته "

هذه هي الخنساء فأين رائدات نهضة الأمومة ؟ هذه هي الخنساء فأين المتنصلات عن واجب الأمومـة منهـا ؟ إن جملـة منهنَّ ــ ولا شك ـ أقصر باعـًا وأنزل رتبة من أن يفقهن مثل هذا المثل ، ربما كرهت إحداهن أن تكون أمـًا لأربعـة ، ولـو تـورطت بهم يومـًا مـا لما أحسنت حضانتهم وتربيتهم ، فلم تـدرك مـا ترجـو ، ولم تنفـع نفسـها ولا أمتهـا بشـيء طائـل ، وكفى بـالأم إثمـًا أن تضـيع من تعـول ، وفي مثـل الخنسـاء تتجلى صـورة الأمومـة على وجههـا الصحيح ، وما ذاك إلا للتباين الذي عاشته في جاهليتها وإسلامها ، ومن هنا يظهر عظم المرأة ، ويظهر تفوقها ، ولو كـانت الأمهـات كأم سـليم ، وعائشـة ، وأم سـلمة ، والخنسـاء ،لفضـلت النسـاء على كثير من الرجال في عصـرنا الحاضـر (فالصـالحات قانتـاتٌ حافظاتٌ للغيب بما حفظ الله)(النساء/34) ، فاتقوا الله معاشـر المسلمين ، واعلموا أن للأم مكانة غفل عنها جـل النـاس بسـبب ضـعف الـوازع الـديني المنجي من الوقــوع في الإثم والمغبـة ، وعلينا جميعـًا أن نعلم أن الأم الحانية ، لطيفـة المعشـر ، تحتمـل الجفوة وخشونة القول ، تعفو وتصفح قبل أن يطلب منهـا العفـو أو الصفح ، حملت جنينها في بطنها تسـعة أشـهر ، يزيـدها بنمـوه ضعفـًا ، ويحملهـا فـوق مـا تطيـق عنـاء ، وهي ضـعيفة الجسـم ، واهنة القوى ، تقاسي مرارة القيء والوحام ، يتقاذفها تمـازج من السـرور والفـرح لا يحس بـه إلا الأمهـات ، يتبعهـا آثـار نفسـية وجسمية ، تعمـل كـل شـيء اعتادتـه قبـل حملهـا بصـعوبة بالغـة وشدة ، تحمله وهنـًا على وهن ، تفرح بحركته ، وتقلق بسـكونه ، ثم تأتي ساعة خروجه فتعـاني مـا تعـاني من مخاضـها ، تى تكـاد تيأس من حياتها ، وكأن لسان حالها يقـول : (يـا ليتـني مت قبـل هذا وكنت نسيـًا منسيــا)(مـريم/22) ، ثم لا يكـاد الجـنين يخـرج

في بعض الأحــايين إلا قسـرًا وإرغامـًا ، فيمــزق اللحم ، أو تبقــر البطن ، فإذا ما أبصرته إلي جانبها نسيت آلامهـا ، وكـأن شيئـًا لم يكن إذا انقضى ، ثم تعلق آمالها عليـه ، فـترى فيـه بهجـة الحيـاة وسرورها ، والذي تفقهه من قوله تعالى : (المـال والبنـون زينـة الحيـاة الـدنيا)(الكهـف/46) ، ثم تنصـرف إلى خدمتـه في ليلهـا ونهارها ، تغذيه بصحتها ، وتنميه بهزالها ، تخاف عليه رقة النسـيم وطـنين الـذباب ، وتـؤثره على نفسـها بالغـذاء والنـوم والراحـة ، تقاســي في إرضـاعه وفطامــه وتربيتــه مــا ينســيها آلام حلمهــا ومخاضها .

تقول عائشة رضي الله عنها : جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لهــا ، فأطعمتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحدة منهمــاتمرة ، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها ، فاستطعمتها ابنتاها ، فشقت التمرة الــتي كـانت تريـد أن تأكلهـا بينهمـا ، فـأعجبني شـأنها ، فـذكرت الـذي صنعت لرسول الله صلى الله عليـه وسـلم فقـال :[إن اللـه قـد أوجب لها الجنة ـ أو أعتقها من النار](رواه مسلم) ، الله أكبر .. ما أعظم الأم الصادقة المسلمة !!

- كانت الخنساء تقول البيتين أو الثلاثة حتى قتل أخوها شقيقها معاوية بن عمرو ، وقتل أخوها لأبيها صخر ، وكان أحبهما إليها لأنه كان حليماً جوداً محبوباً في العشيرة ، كان غزا بني أسد ، فطعنه أبو ثور الأسدي طعنه مرض منها حولاً ثم مات ، فلما قتل أخوها صخر قال ترثيه :

أعيني جودا ولا تجمدا........................... ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجريء الجميل ....ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العماد .... ساد عشيرته أمردا
إذا القوم مدوا بأيديهم ....إلى المجد مد إليه يدا
فنال الذي فوق بأيديهم .... من المجد ثم مضى مصعدا
يحمله القوم ما عالهم......................... وإن كان أصغرهم مولدا
ترى المجد يهوي إلى بيته .... يرى أفضل المجد أن يحمدا
وإن ذكر المجد ألفيته........................ تأزر بالمجد ثم ارتدى

وقالت في رثاء معاوية:

ألا لا أرى في الناس مثل معاوية........... إذا طرقت إحدى الليالي بداهية
بداهية يصغى الكلاب حسيسها................... وتخرج من سر النجي علانية

وكان لزاز الحرب عند نشوبها...............إذا سمرت عن ساقها وهي ذاكية
وقواد خيل نحو أخرى كأنها................. سعال وعقبان عليها زبانية
بلينا وما تبلى تعار وما ترى .... على حدث الأيام إلا كما هيه
فأقسمت لا ينفعك دمعي وعولتي ....عليك بحزن ما دعا الله داعية

- لقد كانت شهرة الخنساء رضي الله عنها قد ذاعت وطار صيتها في كل مكان ، وخاصة من خلال مراثيها التي سارت بها الركبان.

- وهي إلى شاعريتها صاحبة شخصية قوية ، تتمتع بالفضائل والأخلاق العالية ، والرأي الحصيف ، والصبر والشجاعة .

- وإن موقفها يوم القادسية لدليل واضح على صبرها وشجاعتها ، فقد خرجت في هذه المعركة مع المسلمين ومعها أبناؤها الأربعة ، وهناك ، وقبل بدء القتال أوصتهم فقالت : يا بني لقد أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، ووالله الذي لا إله إلا هو إنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم

إلى أن قالت : فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين ، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، وجعلت ناراً على أوراقها ، فتيمموا وطيسها ، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها ، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة.

فلما أصبح أولادها الأربعة باشروا القتال واحداً بعد واحد حتى قتلوا ، وكل منهم أنشد قبل أن يستشهد رجزاً ، فأنشد الأول:

يا إخوتي إن العجوز الناصحة.............. قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة

بمقالـة ذات بيـان واضـحة....................... وإنمـا تلقـون عنـد الصـابحة
من آل ساسان كلاباً نابحة

وأنشد الثاني :

إن العجـوز ذات حـزم وجلـد..................... قـد أمرتنـا بالسـداد والرشد
نصـيحة منهـا وبـراً بالولـد................. فبـاكروا الحـرب حمـاة في العـدد

وأنشد الثالث :

والله لا نعصي العجوز حرفاً........................ نصـحاً وبـراً صـادقاً ولطفـاً
فبادروا الحرب الضروس زحفاً.....................حتى تلقـوا آل كسـرى لفا

وأنشد الرابع :

لست لخنساء ولا للأقـرم......................... ولا لعمـرو ذي النسـاء الأقـدم
إن لم أراه في الجيش خنس الأعجمي............... ماض على الحـول خضـم خضـرم

وبلغ الخنساء خير مقتل أبنائها الأربعـة فقـالت : (الحمد للـه الـذي شـرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته).

- وقفلت الخنساء عن ميدان القادسية وقد فتح الله تعالى على المسلمين. عادت إلى المدينة ، وعلم بها عمر رضي الله عنه فعزاها في أبنائهـا ، وكـان يعطيها أرزاق أولادها الأربعة حتى قبض.

- ثم انصرفت إلى البادية ، إلى مضـارب قومهـا بـني سـليم ، وقـد أنهكتهـا الأيـام والأعـوام ، ومـا لبثت أن فـارقت الحيـاة مـع مطلـع خلافة عثمـان بن عفـان رضـي اللـه عنه.

أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبل الخنساء ولا بعدها أشهر منها ، فقد كانت الخنساء تقول في أول أمرها البيتين أو الثلاثة حتى قتل أخوها شقيقها معاوية بن عمرو ، وقتل أخيها لأبيها صخر ، وكان صخر أحبهما إليها لأنه كان حليماً جواداً محبوباً في العشيرة ، فقد غزا بني أسد فطعنه أبو ثور الأسدي طعنة مرض منها حولاً ثم مات ، فلما قتل أخواها أكثرت من الشعر ، فمن قولها في صخر :(000

أعينـيّ جُودَا ولا تَجمدا00000ألا تبكيان لصخرَ الندَى
ألا تبكيان الجريّ الجميل00000ألا تبكيان الفتَـى السيدَا
طويل النجاد عظيمُ الرماد00000وسادَ عشيرتَـه أمـردَا

النصيحة للأبناء

حضرت الخنساء حرب القادسية و معها بنوها أربعة رجال ، فوعظتهم وحرّضتهم على القتال وعدم الفرار ، ومما قالت :(إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، وإنكم لابن أب واحد وأم واحدة ما حبثُ أباكم ، ولا فضحتُ أخوالكم ، ولا هجّنتُ حَسَبَكم ، ولا غيرتُ نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، واعلموا أن أنّ الدار الباقية خيرٌ من الدار الفانية000

يقول الله عّز وجلَّ :(يا أيّها الذين آمنوا اصْبِروا وصابِروا ورابطوا واتقوا اللهَ لعلّكم تُفْلحون)000

فإذا أصبحتم غداً ، إن شاء الله سالمين ، فاغدوا إلى قتال عدوّكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ، وإذا رأيتم الحربَ قد شمّرَتْ عن ساقها ، واضطرمت لظىً على سياقها ، وحللت ناراً على أرواقها ، فتيمَّمُوا وَطيسها ، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها ، تظفروا الغُنم والكرامة في دار الخُلْد والمُقامة)000

استشهاد الأبناء

فلما أصبح الأبناء باشروا القتال واحداً بعد واحد حتى قتلوا ، وكل منهم أنشد قبل أن يستشهد000

فقد قال الأول :(000يا إخوتي إن العجوز النّاصحة
00000قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة
بمقالـة ذات بيـان واضحـة00000وإنّما تَلْقَـونَ عندَ الصّابِحة
من آل ساسانَ كلاباً نابحة
وأنشد الثاني :(000إن العجـوز ذات حزمٍ وجَلَـد
00000قد أمرتْنَا بالسّـدَادِ والرَّشَـد
نصيحـةً منها وَبرّاً بالولـد00000فباكِرُوا الحَرْبَ حماةًفي العدد

وأنشد الثالث :(000واللهِ لا نعصي العجوزَ حَرْفَا
00000نُصْحاً وبِرّاً صَادِقاً ولطفا
فبادِرُوا الحربَ الضَّروسَ زَحْفاً00000حتّى تَلَقَّوْا آل كسْرَى لَفّا

وأنشد الرابع :(000لسـتُ لخنساءَ ولا للأخرم
00000ولا لعمروٍ ذي السِّعاءِ الأقدم
أنْ لم أرِد في الجيش خنسَ الأعجمي00000ماضٍ على الهولِ خِضَمّ حَضْرِمي

فبلغ الخنساء ما أنشد أبناؤها (وهو أكثر مما سبق)
فقالت :(الحمد لله الذي شرّفني بقتْلِهم وأرجو من رَبّي أن يجمعني بهم في مُسْتَقرَّ رحمتِهِ)000